الرقم الأخير

قبل أن أذهب إليه، عرفت أنه يبدل النساء في حياته كما يبدل ملابسه، تغيير يحدث طيلة الوقت، ولكن لابد من الذهاب إليه، ظروف العمل تتطلب هذا، فرغم جمالي الهادئ، فإنني أتجاهل تماماً لغة الجسد، إنني شخصية قوية، ثابتة، والأهم جادة، ولهذا رشحوني لهذه المهمة.

كان اللقاء الأول سهلاً، سريعاً، عابراً، كنت كعادتي جادة، بل أكثر جدية من المعتاد، كسبت احترامه منذ اللقاء الأول، فهو رجل يعامل كل امرأة كما تحب أن تعامل.

في اللقاء الثاني كسبت شيئاً آخر، كسبت صداقته.

في اللقاء الثالث كانت كلماته أكثر رقة، بل أكثر حرصاً، فلقد حركت داخلي بركاناً ساكناً منذ زمن، كنت في الظاهر هادئة غير مبالية، ولكن البركان كان قد بدأ في الحركة، حركة أذابت الحواجز بيني وبينه، فعبرت ولكن بحذر.

في البيت كنت أفكر فيه كثيراً، أعطاني رقم تليفونه الخاص، قاومت، كنت أدير القرص وأهرب عند الرقم الأخير، ولكنني بدأت أشعر بميل غريب نحوه، بدأت أشعر بالحاجة إلى حب يملأ حياتي، وبدأت لا أهرب عند الرقم الأخير.

في البداية أسرني صوته، وامتلكني حديثه العذب، ثم بدأت ألقاه، أضاف إليّ معانٍ عن الحب كنت أحتاج إليها، غيرني، أتلف وقاري بعض الشيء، صرت أسمح لأذني أن تسمع عبارات الحب الساخنة، وأسمح ليدي أن تلامسا شفتيه عند اللقاء، حرك ثباتي، وضعني في مكان آخر، جعلني أتوهم أنني أجذبه إلى عالم جديد تماماً.

تمكن هذا الساحر مني، عرف طرقي المختفية، بدلني، لمع ضوء الحب في سمائي الزرقاء، تحول البحر الساكن، صار كل شيء معه رائعاً، لكنني بدأت أشعر بأنه أحبني بطريقته هو وليس بطريقتي أنا، حاول أن يحاورني بلغة الجسد، فلقد بدأ الحوار العقلي يفقد بريقه، وبدأ الحبيب يفقد صبره، ولكنه نسي أن الجسد واحد، يتكرر بتفاصيله من امرأة لأخرى، لم يدرك أن الاحتواء الكامل لي يكون بالعقل، بل بالعقل وحده، أحتاج إلى الحب، ولكنني أحتاج إلى العقل أكثر.

لقد غيَّر الكثير، ولكنه لم يقترب من عقلي، اهتم بالجسد ولم يهتم بما يسيطر على هذا الجسد ويحركه.

كان نداء العقل عنيفاً، مؤلماً، رفض بشدة سطوة الجسد، فبهذا الجسد سأصبح امرأة مثل كل النساء، سأفقد أهم ما يميزني، الملامح تتغير بمرور الوقت، ولكن ملامح العقل ثابتة، بل قد تزداد جمالاً.

أدركت أنني سأصبح رقماً جديداً يُضاف إليه، وأنه يسعى كعادته إلى الجسد، فحتى أحاديثه كانت ساخنة مثل رغباته، اخترقت تفاصيلي وأشد خصوصياتي.

انسحبتُ، فكما ضاق هو بحوار العقل، سئمت أنا محاولاته للوصول معي إلى لغة لا أريدها، ولا أريد أن أتعامل بها، كان لابد أن أعود إلى نفسي، طاردني فترة، فلقد كنا لا نزال في بداية الطريق، وكنت لا أزال في عينيه لغزاً، ولكنه توقف سريعاً، فلقد كنت قوية في انسحابي، مصرة عليه، وبقدر ما كان صعباً للغاية أن أخسر نفسي، كان سهلاً للغاية أن يبحث هو عن لغز آخر. أدركت حماقتي، عرفت أنني ـ ولأول مرة ـ أنحرف عكس تياري، أدركت أنني لن أُغيِّر الآخرين، لن أبدل الأماكن، إما أن أقبل وإما أن أرحل، كل شيء سيعود كما عدت أنا.

عـدت . . ولكـن عـدت أقـوى ، وأكثـر ثـباتاً وجديـة ، ولهـذه الأسباب ؛ رشحوني لمنصب أعلى .